مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

الاستراتيجية التوجيهية في خطبة عيد الفطر بالحرم المكي لعام ١٤٤١هـ

د. خلود بنت عبداللطيف بن صالح الجوهر

أستاذ البلاغة والنقد المشارك بقسم اللغة العربية

كلية الآداب– جامعة الملك فيصل

DOI: 10.21608/qarts.2022.178907.1564

مجلة كلية الآداب بقنا – جامعة جنوب الوادي – العدد (٥٨) يناير ٢٠٢٣

الترقيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة ISSN: 1110-614X

الترقيم الدولي الموحد للنسخة الإلكترونية ISSN: 1110-709X

موقع المجلة الإلكتروني: https://qarts.journals.ekb.eg

الاستراتيجية التوجيهية في خطبة عيد الفطر بالحرم المكي لعام ١٤٤١هـ

الملخص:

التَّواصـــل الإنســـاني مطلبٌ من مطالب الحياة، وله أشـــكال عدَّة تتنوع وفقًا للوسائل والغايات، منها الخطب الدينية عند المسلمين التي تعد وسيلة للتوجيه والتذكير.

ومن الخطب الدينية خطبة العيد، حيث تكون المســـاجد مكتظة بالمســـلمين، وتتضـــمن تلك الخطبة –دومًا– التعبير عن فرحة العيد والتذكير بتعاليم الدين الحنيف، بيد أن بُعيد منتصف عام ١٤٤١هـ حدث ما لم يكن في الحسبان؛ إذ أتت الجائحة، وما أدراك ما الجائحة؟ فحالت بين الناس والاجتماعات، وعمَّت التوجيهات والتعليمات والاحترازات في شتَّى بقاع المعمورة دينيًّا وطبيًّا ونفسيًّا واجتماعيًّا واقتصاديًّا، وجاء عيد الفطر ولم تنكشف الغمَّة، فكانت خطبته استثنائية؛ إذ كان عدد الحضور محدودًا من المصلين في جميع المساجد، وحتَّى الحرمين الشريفين. وقد استمعتُ إلى (خطبة العيد في الحرم المكي) للشـــيخ الدكتور صـــالح بن عبد الله بن حميد فتأمَّلتُ كيف ســـاق الخطيب التوجيهات فيها بما يلائم المقام الجديد والحال الراهنة؟ فعزمتُ على دراســـتها لاستكناه جوانب من تركيبتها الخِطابية؛ لتبيُّن طبيعة الخطاب في زمن الوباء.

وانتظمت الدراســـة في مقدمة ومباحث ثلاثة، تناولتُ في المبحث الأول خطبة العيد من زاويتي الســياق والقراءة، وخصــصــتُ المبحث الثاني للتوجيهات الصــريحة، وعرضتُ في المبحث الثالث التوجيهات المضمرة، وتوَّجت البحث بخاتمة تضمنت زمرة من النتائج، لعلَّ أهمها: أنَّ الخطيب لجأ إلى الاســـتراتيجية التوجيهية في بناء خطبته التي جاءت أمشـاجًا من الأفعال التوجيهية الصـريحة، إلا أنَّ الأمر والنداء تصـدَّرا في الخطبة، كما اتكأ الخطيب –أيضًـا– على التوجيه المضـمر المصـحوب بالاستدلال تارة

وذكر العواقب الناجمة عنها تارة أخرى، فكانت شـــفاء للنفوس المخاطَبة من مشـــاعر الخوف والضجر التي تسرَّبت إليهم بفعل الوباء المتفشي.

الكلمات المفتاحية: الاســـتراتيجية، التوجيهية، الفعل الإنجازي، التوجيهات الصـــريحة، التوجيهات المضمرة.

مقدمة

الحمد لله على انجلاء الغمَّة، والصلاة والسلام على نبيّ هذه الأمَّة، أمَّا بعد، فبُعيد منتصف عام ١٤٤١هـ اجتاح العالم جائحة كورونا، وعلى إثرها انبرت التوجيهات من كل حدب وصوب، للحفاظ على حياة الناس، والتغلب على هذا المرض الفتّاك. فكان لابدَّ من استثمار أشكال التواصل المختلفة مع الناس بغية التوجيه ورصِّ الصفوف لمواجهة هذا العدو القاتل.

ومعلوم أنَّ التواصل الإنساني مطلب من مطالب الحياة، وله أشكال عدة تتنوع وفقًا للوسائل والغايات، منها الخطب الدينية عند المسلمين التي تعد وسيلة للتوجيه والتذكير. ومن الخطب الدينية خطبة العيد، ففيه تكون المساجد مكتظة بالمسلمين، وتتضمن تلك الخطبة –دومًا– التعبير عن فرحة العيد والتذكير بتعاليم الدين الحنيف والتوجيه إلى الوصل والتواصل، بيد أن بُعيد منتصف عام ١٤٤١هـ حدث ما لم يكن في الحسبان، ولم يأت في سالف العصر والأوان، أتت الجائحة، وما أدراك ما الجائحة؟ فحالت بين الناس والاجتماعات، فعمّت التوجيهات والتعليمات والاحترازات في شتى بقاع المعمورة دينيًّا وطبيًّا ونفسيًّا واجتماعيًّا واقتصاديًّا، وجاء عيد الفطر ولم تنكشف الغمة، فكانت خطبته استثنائية؛ إذ كان عدد الحضور محدودًا من المصلين في جميع المساجد، وحتى الحرمين الشريفين، واستمعت إلى (خطبة العيد في الحرم المكي) للشيخ الدكتور ابن حميد –حفظه الله– فتأملت كيف ساق الخطيب التوجيهات فيها بما يلائم المقام الجديد والحال الراهنة؟ فعزمت على دراستها لاستكناه جوانب من تركيبتها الخِطابية؛ لتبيُّن طبيعة الخطاب في زمن الوباء.

واقترحت في سبيل ذلك العنوان الآتي: (الاستراتيجية التوجيهية في خطبة عيد الفطر بالحرم المكي لعام ١٤٤١هـ). ومن خلال التتبع والبحث –حسب علمي– لم أجد دراسة مستقلة تناولت هذه الخطبة، فشجّعني ذلك على المضي قدمًا في دراستها.

ويروم هذا البحث إضاءة الاستراتيجية التوجيهية في خطبة الشيخ ابن حميد، من خلال الإجابة عن سؤالين مركزيين:

- لم اختار الخطيب الاستراتيجية التوجيهية؟
- كيف استعان الخطيب بالأفعال الكلامية بوصفها استراتيجية توجيهية للمتلقين؟

وانتظمت الدراسة في مقدمة ومباحث ثلاثة، تناولتُ في المبحث الأول خطبة العيد من زاويتي السياق والقراءة، وخصصتُ المبحث الثاني للتوجيهات الصريحة، وعرضتُ في المبحث الثالث التوجيهات المضمرة، وتوَّجت البحث بخاتمة تضمنت زمرة من النتائج، فثبت بالمصادر والمراجع.

المبحث الأول

خطبة العيد: السياق والقراءة

سأتناول في هذا المبحث عناصر ثلاثة من شأنها أن تضيء التحليل التداولي لخطبة الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد، وتتجلى في السياق التداولي المنتِج للخطبة، ونبذة يسيرة عن الخطيب، وبسط للقراءة التداولية المعتمدة في الدراسة، مع وقفة خاصة على الاستراتيجية التوجيهية التي نهتدي بها في التحليل التداولي.

- **السياق التداولي للخطبة:**

عدَّ العرب الخطبة منذ سالف عهدهم سلاح المجتمع في السلم والحرب[(١)]؛ فهي العدة والعتاد، ولا عجب في ذلك؛ إذ "العرب انتهت من إحكام الصنعة الجديرة بالتأثير في النفوس إلى ما لم تنته إليه أمة من الأمم ...، واتخذوا الكلام المحكم نظمًا ونثرًا للوعظ والحضّ على المصالح"[(٢)]، كيف لا؟ وفيهم نبينا محمد ﷺ الذي أوتي البلاغة والفصاحة؛ إذ «كان يخطب في كل وقت بما تقتضيه حاجة المخاطبين ومصلحتهم"[(٣)]، مراعيا المقام، مدركًا لمقتضى الحال، لا يعزب عنه مقاصد القول، فقد "كان يَأْمُرهم بِمُقْتضى الحال في خطبته"[(٤)].

---

(١) فن الخطابة، د. أحمد الحوفي، ٦، نهضة مصر، (د.ط)، ١٩٣٨م.

(٢) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، القرطاجني، ١٢٢، محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٩٨٦م.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، ١/ ١٨١، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط٢٧، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٤م.

(٤) السابق، ٤١٣/١.

وقد حافظ المجتمع الإسلامي الحديث والمعاصر على هذا الإرث التواصلي والديني لما لمس فيه من قدرة تأثيرية هائلة، يتجدد فيها العهد بأواصر المحبة والتماسك، مثلما نجد في خطب الجمعة والأعياد الدينية.

والخطبة الماثلة بين أيدينا هي خطبة العيد في الأول من شهر شوال لعام واحد وأربعين وأربع مئة وألف للهجرة في الحرم المكي[١]، وتختلف هذه الخطبة عن خطب العيد السابقة، فقد كانت في سياق الوباء، ولسان الحال يقول مع المتنبي: (عيد بأية حال عدت يا عيد). فقد جاءت في مرحلة عصيبة لم يشهد الحرم المكي نظيرًا لها في العصر الحديث، إنها مرحلة شكَّلت منعطفًا حاسمًا في تاريخ البشرية جمعاء، ولم يسلم من تأثيراتها الحرم المكي الذي خلا من اكتظاظ المسلمين في الحرم خاصة وفي المساجد عامة فكان الحضور محدودًا جدًّا.

أما عن هيكل الخطبة، فقد سار على نهج الخطب الإسلامية المعروفة، مبتدئا بالحمدلة والصلاة على النبي ﷺ، والامتنان لنعم الله العظيمة، ثم انتقل إلى الموضوع فبعد أن تحدث عن الداء، ذكر الدواء، وضمّنه زمرة من التوجيهات الصريحة والمضمرة غير عازب عن ذهنه ما انتاب الناس من هلع ووجل، وختم الخطبة بأدعية تلائم سياق الحال.

- **نبذة عن سيرة الخطيب[٢]:**

هو الشيخ الدكتور صالح بن عبد الله بن حميد، من مواليد بريدة ١٣٦٩هـ، متزوج، وله سبعة من الأولاد، حصل على الدكتوراه في قسم شريعة الفقه وأصوله، من

(١) خطبة العيد، حقيقة جائحة كورونا لمعالي الشيخ صالح بن حميد من خطبة عيد الفطر ١٤٤١هـ – YouTube، ١٤٤١هـ، الساعة الخامسة مساءً.

(٢) موقع الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد، سيرة الشيخ | موقع الشيخ صالح بن حميد(af.org.sa) ، تاريخ زيارة الموقع: ١٤٤٤هـ، الساعة ٢٠: ٦ صباحًا.

مكة المكرمة، وهو خطيب في الحرم المكي، ومدرس فيه، وعضو مجلس الشورى منذ عام ١٤١٤هـ. وفي عام ١٤٢٢هـ صدر مرسوم ملكي بتعيينه بهيئة كبار العلماء، وسيرته حافلة بالمشاركات العلمية في الكثير من الندوات والمؤتمرات المحلية والعالمية، وله العديد من المؤلفات، منها: من خطب المسجد الحرام، توجيهات وذكرى، القدوة ومبادئ ونماذج، التوجيه غير المباشر في التربية وتغير السلوك، مفهوم الحكمة في الدعوة.

- **مفهوم التداولية:**

تباين الدارسون في ترجمة المصطلح (pragmatics)؛ فمنهم من ترجمه إلى الذرعية، والنفعية، والذرائعية، السياقية، البراغماتية، البراجماتية، البراكماتية[١]. ويعود الفضل في تمكين مصطلح (التداولية) عند العرب إلى المفكر المغربي طه عبد الرحمن.

وقد ذكر فرانسيس جاك أنَّ التداولية تتطرق "إلى اللغة؛ كظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية معا"[٢] ، وتعنى بدراسة استعمال اللغة "في الطبقات المقامية المختلفة؛ أي باعتبارها (كلامًا محددًا) صادرًا من (متكلم محدد)، وموجهًا إلى (مخاطب

(١) لمزيد تفصيل ينظر: لسانيات الخطاب: مباحث في التأسيس والإجراء، أ.د. نعمان بو قرة، ٧١- ١١٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١٢م، الكتابة اللسانية العربية وإشكاليات المصطلح التداولي، د. نعمان بوقرة، مجلة علوم إنسانية، على الرابط: اللسانيات اللغة التواصل والتفاعل والمجتمع ,Linguistics language communication, interact: الكتابة اللسانية العربية وإشكاليات المصطلح التداولي (brahmiblogspotcom.blogspot.com)تاريخ الدخول ١٤٤٣هـ.

(٢) المقاربة التداولية، فرانسواز أرمينكو، ٦، ترجمة: د. سعيد علوش، الإنماء القومي، الرباط، ط١، ١٩٨٦م.

محدد) في (مقام تواصـــلي محدد)؛ لتحقيق (غرض تواصـــلي محدد)"[١]، وفي تعريف آخر لها[٢]، هو العلم "الذي يعنى بدراســـة اللغة، وفهمها، (أو بالمعنى في علاقاته بالمقامات التخاطبية)"[٣]، إنَّ هذا التعريف يقارب التعريف السابق إلا أنه أكثر اختزالاً.

وتتفق التداولية والبلاغة في اتكائهما على اللغة بوصـــفها أداة لممارســـة الفعل على المتلقي[٤]. والتداولية في مهدها كانت رديفة للأفعال الكلامية[٥]، وبقيت هذه الأخيرة تتبوأ منزلة عليا بوصـــفها "قطب الرحى في الدراســـات اللســـانية التداولية المعاصـرة"[٦]. وقد وضـع أصـول (نظرية أفعال الكلام) أوسـتين[٧](ت١٩٦٠م)، وأقام

---

(١) التداولية عند العلماء العرب: دراسة تداولية لظاهر (الأفعال الكلامية) في التراث اللساني العربي، د. مسعود صحراوي، ٢٦، دار الطليعة، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.

(٢) رجّح هذا التعريف د. حاتم أوس الأنصاري، وذكر أنَّ هذا التعريف "من أقرب التعريفات إلى الصحة"، لمزيد من بيان، ينظر: سلطة الخطاب الشعري عند بني هذيل في الجاهلية والإسلام والعصر الأموي: دراسة تداولية، حاتم أوس الأنصاري، ٤٤، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمّان، ط١، ٢٠١٩م، ١٤٤٠هـ.

(٣) علم التخاطب الإسلامي: دراسة لسانية لمناهج علماء الأصول في فهم النص، د. محمد محمد يونس علي، ٢٧، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٦م، وقد آثر الدكتور تسميته بـ (علم التخاطب)، ينظر: السابق: ٨-٩.

(٤) التداولية: البراغماتية الجديدة خطاب ما بعد الحداثة، حفناوي بعلي، ٦٧، مجلة اللغة والأدب، ع١٧، الجزائر، ٢٠٠٦م.

(٥) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د. محمود أحمد نحلة، ٤١، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د.ط)، ٢٠٠٢م.

(٦) لسانيات الخطاب: مباحث في التأسيس والإجراء، ٦٩.

(٧) جون لانجشو أوستن فيلسوف من فلاسفة اللغة في أكسفورد، وقد استفاد من تطور نظريات القانون الإداري، فأسس تداولية أفعال الكلام، وقد جمع (إرمسون) محاضرات أوستن التي ألقاها في هارفارد، وعددها اثنتا عشرة محاضرة في كتاب نشر بعد وفاة أوستن عام ١٩٦٠م، واسم الكتاب

بناءها سورل[١] في عام (١٩٧٢م)، ووسّع مجالها غرايس[٢](ت ١٩٨٨م)[٣]. وقد عُدّ أوستين "أبا للتداولية"[٤]؛ إذ صنَّف الأفعال الكلامية إلى خمسة أصناف: التقريريات، والوعديات، والأمريات، والإيقاعيات، والبوحيات، بينما صنّفها سيرل تصنيفًا مغايرًا، وإن أبقاها ضمن التقسيم الخماسي[٥]، الذي سأبينه لاحقًا.

وثمة تباينات بين تصوّر (أوستن) وتصوّر (سورل)؛ إذ يرى الأول أنَّ قوة المنطوق الإنجازية تكمن في تحقيقه لمقصد المتكلم، بينما يرى الثاني أنَّ القوة تكمن في تفسير

(كيف نصنع الأشياء بالكلمات؟)، ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ٤٢، ونظرية أفعال الكلام العامة: كيف ننجز الأشياء بالكلام، أوستين، ٦، ترجمة: عبد القادر قينيني، إفريقيا الشرق، ١٩٩١م.

(١) فيلسوف أميركي معاصر، متخصص في فلسفة اللغة والذهن، ولد عام ١٩٢٣م، أسهم في إغناء نظرية أفعال اللغة أو أو أفعال الكلام التي أسسها أوستين.

(٢) هربرت بول جرايس، ولد وتربى في المملكة المتحدة، وتعد نظريته (الاستلزام الحواري) من أهم المساهمات تأثيرًا في علم التداوليات.

(٣) التواصل والحجاج (أية علاقة؟)، د. عبد العزيز السراج، ٢٧٨/١، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته: دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم: د. حافظ إسماعيل صبري، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ٢٠١٠م.

(٤) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ٤١.

(٥) لمزيد بيان، ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ٧٨-٨٠، والتداولية من أوستن إلى غوفمان، فيليب بلانشيه، ٦٦، ترجمة: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط١، ٢٠٠٧م، القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلر، آن ريبول، ٧٦، ترجمة: مجموعة من الأساتذة والباحثين، بإشراف: عز الدين المجدوب، مراجعة: خالد ميلاد، منشورات دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، ٢٠١٠م، والعبارة والمعنى: دراسات في نظرية الأعمال اللغوية، جون ر. سورل، ٢٩-٥٠، ترجمة: شكري السعدي، مراجعة: شكري المبخوت، معهد تونس للترجمة، تونس، ط١، ٢٠٢١م.

المســـتمع للمنطوق[١]، مبرزًا أنَّ الفعل الكلامي يتألف من أفعال ثلاثة متداخلة هي: "الفعل اللفظي: يمثله انتظام الأصوات المنطوقة في السلسلة الكلامية وفق تأليف نحوي يحقق معنى يحيل إلى مرجع معلوم. الفعل الإنجازي: يمثله المعنى الإضـــافي المؤدي خلف المعنى الأصـــلي أو الحرفي (المتضـــمن في القول). الفعل التأثيري (الناتج عن القول): الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي ... سواء كان سلوكيا ظاهرا أو لغويا"[٢].

- **مفهوم الاستراتيجية التوجيهية:**

الاستراتيجية مصطلح "استعمل من أجل الوصول إلى أهداف عسكرية بعيدة المدى"[٣]. وقد رحل مصـــطلح "(اســـتراتيجية) من فن قيادة عمليات جيش في ميدان القتال، و(هو يقابل إذ ذاك خطَّة)"[٤]، إلى التداول العام لـــ "يفيد كل عمل يتمَّ القيام به بصـفة منسـقة لبلوغ هدف ما"[٥]، واسـتعمله ميشـال فوكو (ت ١٩٢٦م) ضـمن جهازه

(١) ينظر: النص والخطاب والاتصال، أ.د. محمد العبد، ٢٢٣، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، (د.ط)، ٢٠١٤م.

(٢) اللسانيات العامة: اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، د. نعمان بو قرة، ١٨٧، عالم الكتب، الأردن، ط١، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.

(٣) مدخل إلى علم اللغة النصي، فولفجانج هاينه من، وديتر فيهفيجر، ٣١٣، ترجمة: د. فالح بن شبيب العجمي، سلسلة اللغويات الجرمانية، (١١٥)، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤١٩هـ.

(٤) معجم تحليل الخطاب، بإشراف: باتريك شارودو ودومينيك منغنو، ٥٣٢، ترجمة: عبد القادر المهيري، حمَّادي صمّود، مراجعة: صلاح الدين الشريف، منشورات دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، (د.ط)، ٢٠٠٨م.

(٥) السابق نفسه.

المصـــطلحي في تفكيك خطاب المعرفة[١]، ثم اعتمده أصـــحاب تحليل الخطاب وعلم النص والتداوليات، حيث عُرّفت الاســـتراتيجية بأنها "مجموعة عمليات تهدف إلى بلوغ غايات معينة، أو هي تدابير مرسومة من أجل ضبط معلومات محددة، والتحكم بها"[٢]، وبعبارة أخرى هي حزمة من الطرائق التي يتبعها المتكلم مستحضـرًا المخاطب والمقام؛ ليعقد بهما خطابه[٣].

واسـتراتيجيات الخطاب أنواع[٤]، يهمني منها الاسـتراتيجية التوجيهية التي تقوم على لون من ألوان الأفعال الإنجازية[٥] التي صـنَّفها سـورل، وفقًا لقوتها الإنجازية إلى

(١) حفريات المعرفة، ميشال فوكو، ٦٠- ٦٥، ترجمة: سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م.

(٢) استراتيجيات تعلم اللغة العربية بوصفها لغة ثانية، د. عبد الرحمن العبدان، د. راشد الدويش، ١٧٢، مجلة أم القرى للبحوث العلمية المحكمة، سنة ١١، ع ١٧، ١٩٩٨م.

(٣) ينظر: الوصايا الأدبية إلى القرن الرابع هجريا: مقاربة أسلوبية حجاجيّة، عبد الله البهلول، ٣٣٣، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، دار محمد علي للنشر، تونس، ط١، ٢٠١١م.

(٤) وثمة ملحظ في الاستراتيجيات، فبالرغم من تعددها إلا أنَّ فيها نوعًا من التداخل.

(٥) الفعل الإنجازي: "يمثله المعنى الإضافي المؤدي خلف المعنى الأصلي أو الحرفي (المتضمن في القول). الفعل التأثيري (الناتج عن القول): الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي... سواء كان سلوكيا ظاهرا أو لغويا"، اللسانيات العامة: اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، ١٨٧.

خمسة أصناف هي: الإخباريات[١]، والتوجيهيات[٢]، والالتزاميات[٣]، والتعبيريات[٤]، والإعلانيات[٥].

يقصد بالتوجيهيات أو الأمريات أو الطلبيات: محاولة المتكلم توجيه المخاطب إلى فعل شي معين، ويتضمن هذا الصنف: أفعال الأمر والطلب والتوجيه والاستفهام والاستعطاف والإذن[٦]، وهو ما تدخله بلاغتنا العربية ضمن الأساليب الإنشائية.

ولا ريب في أنَّ المرسل يبتغي من الاستراتيجية التوجيهية تحقيق مقصد طلب فعل في المستقبل للمرسل إليه، وقد يقع في زمنين، إما في الماضي أو في المستقبل؛ فإما أن يكون فعل المرسل إليه قد وقع فيما مضى؛ مما يستدعي نقد الفعل أو

(١) هذه الأصناف الخمسة اختلف في بعض الأنواع من حيث الترجمة فقط، فقد تعددت الترجمات والمعنى واحد، فـ (الإخباريات) جاءت عند الطبطبائي تحت اسم (التقريريات)، ٣٣، والعبارة والمعنى: دراسات في نظرية الأعمال اللغوية، ٥٠- ٥٨، وترجمت في القاموس الموسوعي للتداولية بـ (التمثيليات)، ٧٦.

(٢) ترجمت بـ (الأمريات)، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، ٣٣.

(٣) ترجمت بـ (الوعديات)، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، ٣٣، وينظر: نحو نظرية عربية للأفعال الكلامية، محمود أحمد نحلة، ١٧٧، مجلة الدراسات اللغوية، مج١، ع١، الرياض، (محرم- ربيع الأول ١٤٢٠هـ/ أبريل- يونيو ١٩٩٩م)، وترجمت ب، (العهود)، ينظر: التداولية: دراسة في شروط استعمال الكلام، فرانسواز آرمنغو، ١٣٨، ترجمة: د. منذر عياشي، أمل الجديدة، سورية، ط١، ٢٠٢٠م.

(٤) ترجمت أحيانًا بـ (البوحيات)، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، ٣٢، وقد ترجمت إلى (التعبيرية) التداولية: دراسة في شروط استعمال الكلام، فرانسواز آرمنغو، ١٣٩.

(٥) ترجمت أحيانًا بـ (الإيقاعيات)، نحو نظرية الأفعال الكلامية ٣١، والقاموس الموسوعي للتداولية، ٧٦.

(٦) ينظر: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، طالب سيد الطبطبائي، ٣٠-٣٢، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٩٤م، نحو نظرية عربية للأفعال الكلامية، ١٧٧.

الاعتراض عليه من قِبل المرسل، فيضحى التوجيه تعديلاً لسلوك المرسل إليه، وإما أن يكون يرمي المرسل وقوع الفعل في زمن المستقبل، وينبغي إنجاز التوجيه من قبل المرسل إليه[١]، ويمكن توضيح ذلك عن طريق الخطاطة الآتية:

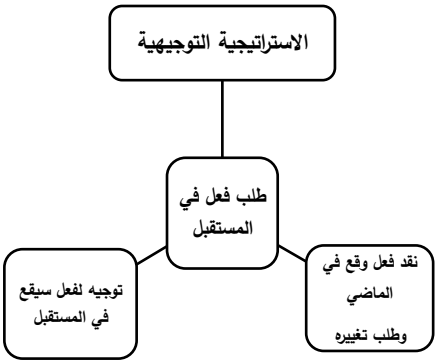

فالتوجيهات "غرضها الإنجازي محاولة المتكلم توجيه المخاطب إلى فعل شيء ما، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات، وشرط الإخلاص فيها يتمثل في الإرادة أو الرغبة الصادقة، والمحتوى القضوي فيها هو دائما فعل السامع شيئًا في المستقبل. ويدخل في هذا الصنف الاستفهام، والأمر والرجاء والاستعطاف والتشجيع، والدعوة والإذن والنصح"[٢].

وإذا كان التداوليون يميزون بين الفعل المباشر وغير المباشر، ويقدمون في سبيل هذا التمييز بينهما أمثلة مصنوعة من أجل الدرس والتوضيح، فإن هذه الخطبة تفرض علينا تقسيمًا آخر؛ إذ شيَّد الخطيب خطبته بتوجيهات صريحة تارة، وتوجيهات مضمرة تارة أخرى.

(١) ينظر: الوظائف التداولية واستراتيجيات التواصل اللغوي في نظرية النحو الوظيفي، يوسف تغزاوي، ٢٠٠، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزي، إربد، ط١، ٢٠١٤م.

(٢) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ٧٩.

المبحث الثاني

التوجيهات الصريحة

هي مجمل التوجيهات التي يعبر عنها الأمر والنداء والاســـتفهام والنهي، وقد فرّق التداوليون بين الأفعال المباشرة وغير المباشرة[١]، من حيث القوة الإنجازية[٢]:

- فالأفعال المباشـــرة تحافظ فيها القوة الإنجازية على (حرفيتها) مهما اختلف المقام، أما غير المباشرة (المستلزمة) فتركن إلى المقام، فتختلف باختلافه. وبناء على ذلك فالقوة الإنجازية للأفعال غير المباشـرة (المسـتلزمة) تأخذ وضـعًا ثانويا، يتجلَّى في أمرين:
- يمكن أن تلغى إلغاء، فإذا قال لك صـاحبك: (هل تصـاحبني إلى المسـرح؟)، فقد يلغى القوة المســتلزمة (الالتماس)، ؛ ليبقي على الســؤال فقط، إذا كان غرضـــه محصورًا في الاستفسار.
- لا يمكن الوصـول إليها إلا عبر عمليات ذهنية اسـتدلالية متفاوتة من حيث الطول والتعقيد.

والمتأمل في الخطبة يجد أنها تخلو من الأفعال الصـــريحة المباشـــرة، وتركن إلى الأفعال الصريحة غير المباشرة، وسأبدأ بالأكثر ورودًا.

---

(١) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ٨٠.

(٢) ينظر: آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، أحمد المتوكل، ٢٢-٢٣، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة بحوث ودراسات (٥)، دار الهلال العربية، ط١، ١٩٩٣م.

- **الأمر**[(١)]:

يعد الأمر من الأفعال الكلامية المهمة في الاســـتراتيجية التوجيهية، ولم تخلُ الخطبة منه، إن لم نقل إنه الأكثر حضـــورًا فيها. وقد أورد الخطيب صـــيغ الأمر: (افعل)، (لتفعل)، (اســـم فعل الأمر)[(٢)]، وكانت أكثرها ورودًا (افعل)، من ذلك قول الخطيب: "صلُّوا في رحالكم، صلُّوا في بيوتكم، إن الذي أمَر بقوله: (حي على الصلاة حي على الفلاح)، في الأحوال المعتادة، هو الذي أمر بقوله: (صلوا في بيوتكم، وصلوا في رحالكم)، في أحوال النوازل، صـــلُّوا في رحالكم رمزٌ عظيمٌ لإبراز مكانة الإنســـان، وتجسيد حقوق الإنسان في هذا الدين، إنَّه إيقاف مؤقَّت لصلاة الجمعة والجماعة والعيد، والتي هي من أعظم المطلوبات والقربات، كل ذلك من أجل الحفاظ على صـــحة الإنســـان، إنَّه من أبرز تجلِّيات الرحمة الربانية بهذا الإنســـان، أيُّ رحمة أعظم من أن يَشرع هذا الدين ترك الجمعة والجماعة والعيد ليصلى في البيت حفاظًا على صحته"[(٣)].

لقد استعان الخطيب بتوجيه المستمعين إلى الصلاة في البيوت، بإيعاز من ضراوة الوباء؛ ومما يزيد القوة الإنجازية لهذا التوجيه مهابة وامتثالاً وتقديسًا تدعيمه بأمر الرسولﷺ "صلّوا في رحالكم"، وتكرار لفظ (أمر) تأكيد مضاعف، وكأنه تذكير أنَّ في النوازل تجوز الصلاة في البيوت، وإذا كان أمر الرسول ﷺ به من قبل، فحري بالجميع تقبّل ذلك حفاظًا على نفسه وعلى جماعته.

---

(١) الأمر: "هو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام"، وصيغه أربع، وله معان مجازية كثيرة يخرج إليها، لمزيد بيان، ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطوّرها، د. أحمد مطلوب، ٣١٣/١-٣٢٣، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

(٢) صيغة الأمر (عليك): "وعليك بخاصة نفسك تَحفظ نفسك وتَحفظ غيرك"، "حي على الصلاة، حي على الفلاح".

(٣) خطبة العيد.

إنَّ المسلمين في شتى بقاع الأرض المعمورة عزّ عليهم خلو المساجد من الصلاة مع الجماعة؛ ولا يخفى على الخطيب أنَّ الصلاة في البيت قد جلب على المسلمين الضيق والكدر؛ وللتخفيف من هذا الأمر الجلل أتى بعد الفعل الكلامي (صلّوا):

- ما أمر الله ورسوله ﷺ به المسلمين في النازلة التي حلَّت بهم، فهو توجيه قديم –منذ عهد الرسول ﷺ – وجديد باعثه هذا الوباء.
- توقيف الصلاة في المساجد وقتي وظرفي فقط.
- صحة الإنسان تحتل الصدارة حتى في أعظم المطلوبات والقربات.
- أنها من رحمة الله.

وفي هذا تذكير لمن نسي، وتعزية للجميع، وإبراز لما يتحلَّى به الدين الإسلامي من قيم سامية، وقد شدَّ من أزر الفعل الكلامي (صلوا في بيوتكم...) وأضفى عليه مزيدًا من التوجيه والتأثير، عدة أمور:

- اتكأ الخطيب على حرف آكد من غيره وهو: (إن)؛ إذ "لفظها وثقلها يوحي بذلك، وهي قريبة الشبه بنون التوكيد الثقيلة التي تؤكد الفعل غير أنها مسبوقة بالهمزة"[(١)].
- جاء الفعل في النص السابق (صلّوا) خمس مرات، وقد صحب الفعل المنجز المتصدر (صلّوا) مصدر ناب عن فعل الأمر، وهو: (حيَّ)، وأفعال دالة على الأمر مرتين: (أمر)، حرف التوكيد (إنَّ) أربع مرات.

(١) معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، ٢٨٨/١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

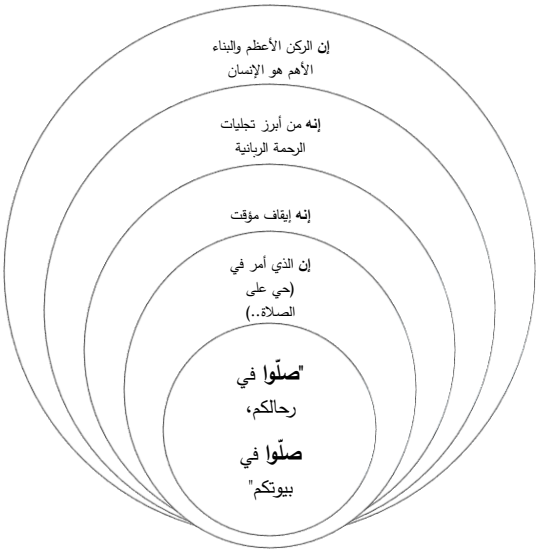

من خلال الخطاطة السابقة يغدو التوجيه (صلوا) طلبًا مركزيًّا، ونواة إشعاعية حاضنة للجمل التي تولدت منها[(١)]. فالفعل الكلامي هو "كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري. وفضلاً عن ذلك، يعد نشاطًا ماديًّا نحويا يتوسل أفعالاً قولية (Actes Loctoires) لتحقيق أغراض إنجازية (Actes illocutoires) (كالطلب والأمر والوعد والوعيد ... إلخ)، وغايات تأثيرية (Actes Perlocutoires)) تخصّ ردود فعل المتلقي (كالرفض والقبول)، ومن ثم فهو فعل يطمح أن يكون فعلاً تأثيريًّا؛ أي يطمح أن يكون ذا تأثير على المخاطب، اجتماعيًّا أو مؤسساتيًّا، ومن ثم إنجاز شيء ما"[(٢)].

(١) ينظر: الوصايا الأدبية إلى القرن الرابع هجريا: مقاربة أسلوبية حجاجية، ١٤٦.

(٢) التداولية عند العلماء العرب: دراسة تداولية لظاهر (الأفعال الكلامية) في التراث اللساني العربي، ٤٠، التداوليات: علم استعمال اللغة، ٥١،٥٢، تنسيق وتقديم: حافظ إسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث، إربد، ط٢، ٢٠١٤م.

وقد تأتي صـــيغ كلامية بثمانية أفعال إنجازية متلاحقة، يقول: "يا عبد الله: هاجِر إلى الله وإلى رسوله، بقلبك وعبادتك، سبِّح بحمد ربك، وصلِّ وتصدَّق، وصم واعمل صالحًا، والزم بيتك، وعليك بخاصة نفسك تَحفظ نفسك وتَحفظ غيرك"، وتارة بثلاثة، يقول: "احفظ نفسك ووقتك، واستغفر لذنبك، وسبح بحمد ربك، بالعشي والإبكار، والغدو والآصال"[(١)].

وبالرغم من الوباء، إلا أنَّ الخطيب يكثر من الأوامر لالتماس أسباب الفرح بالعيد؛ ولأن الإنسان رهين محبسين: محبس اتقاء المرض، ومحبس التباعد الاجتماعي وما له من ضيق نفسي، إذ قال: "ابتهِجوا بعيدكم، فعيدكم مبارك، وتقبل الله طاعتكم، ابتسِموا وانشروا السرور والبهجة في أنفسكم وفي أهليكم وفي إخوانكم ... ، التمِسوا بهجة العيد في رضا ربكم"[(٢)]، وتكمن القوة الإنجازية في تشييد الفرح ليعم الأرجاء رغم انتشار الوباء، ولا ريب في أنَّ "اللغة ليست أداة أو وسيلة للتخاطب والتفاهم والتواصل فحسب، وإنما اللغة وسيلتنا للتأثير في العالم وتغيير السلوك الإنساني من مواقف كلية"[(٣)].

وقد وجَّه الخطيب أيضًا الناس بالدعاء، ولا غرو في ذلك؛ إذ الدعاء بلسم للجراح، ودواء من أنجع الأدوية، كيف لا؟ وهو: "يزيل كل فكر سقيم، وكل ألم نفسي، ويعيد للروح طمأنيتها"[(٤)]، يقول الخطيب: "اقرعوا –رحمكم الله– باب الملك الرحيم وارغبوا إليه في دفع البلاء، فليرتفع بالدعاء ضجيجكم، وليصعد إليه بالابتهال عجيجكم، فربكم

---

(١) خطبة العيد.

(٢) خطبة العيد.

(٣) نظرية أفعال الكلام العامة: كيف ننجز الأشياء بالكلام، ٧.

(٤) الإنسان والدعاء، محمد محمود أحمد وموسى الخطيب، ٨٣، مركز الكتاب، القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

لدعائكم مستمع، وعلى كل مطلع، فالعسر -بلطف الله- لا يدوم، والشدة -برحمته- لا تطول"[١].

وعلى الرغم من أنَّ المحتوى القضوي واحد في هذه السلسة من الجمل، وهو (دعاء الله تعالى، والإلحاح في ذلك)، فإنَّ الأفعال الإنجازية التوجيهية (اقرعوا- ارغبوا- ليرتفع، ليصعد) المتوالية قد أتى اثنان منها بصيغة (افعل)، واثنان بصيغة (ليفعل)، وهو تنوّع يشي بالوظيفة التأثيرية في التوجيه.

إنَّ اختيار الفعل الإنجازي (اقرعوا) له دلالته وإيحاءاته الدينية التي من شأنها التبشير بإمكانية رفع الوباء، وعودة الحياة إلى سالف عهدها؛ لأنَّ من قرع الباب ولج[٢].

وارتباط الطلب بالسجع والجناس في قوله: (ضجيجكم/ عجيجكم)، و(مستمع/ مطلع)، يكسبه "قوة إبلاغية وبلاغية، آتية من جهة فن الصياغة، ومن جهة مبلغ نفع الكلام"[٣]، والصياغة الجميلة أحرى "على إنجاز الفعل المطلوب، ولها على النفس وقع نظير لوقع الحجة المنطقية على العقول"[٤]، وأدعى إلى "بلوغ وجدان المتقبل بمخاطبة ذائقته، وإطراب سمعه، وعلى إقناع فكره"[٥]، ويغدو الدعاء مؤثرًا في توالي أفعال الأمر: (اقرعوا، ارغبوا)، وفعل المضارع المقترن باللام (ليترفع،

---

(١) خطبة العيد.

(٢) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، الزَّبيدي، مادة (قرع)، ٥٣٣/٢١، تحقيق: جماعة من المختصين، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، ١٩٦٥م.

(٣) الوصايا الأدبية إلى القرن الرابع هجريا: مقاربة أسلوبية حجاجية، ١٣٣.

(٤) الوصايا الأدبية إلى القرن الرابع هجريا: مقاربة أسلوبية حجاجية، ١٤٥.

(٥) السابق، ١٤٥.

ليصعد)؛ إذ في صيغة الأمر (ليفعل) لون من "تأدية الطلب بلطف حيلة، وبلاغة وسيلة"[١].

الأمر الموظف في الخطبة هو فعل لغوي غير مباشر يخرج إلى القوة الإنجازية (الدعاء)، وقد عدّ سيبويه (ت ١٨٠هـ) "الدعاءَ بمنزلة الأمر والنهى، وإنما قيل: (دعاءٌ)؛ لأنه استُعْظِمَ أَنْ يقال: أمرٌ أو نَهْيٌ"[٢]؛ والعلة هي "اختلال طبيعة العلاقة القائمة بين الآمر والمأمور، والناهي والمنهي، ففي الأمر والنهي تكون صفة الاستعلاء في حوزة الآمر والناهي، وفي الدعاء تصبح في حوزة المأمور والمنهي؛ بل إنَّ الحمولة الدينية لهذا المعنى تحول تلك العلاقة إلى علاقة مخلوق بخالقه"[٣].

إنَّ التأمل في الفعلين الكلاميين: الأمر والدعاء وما بينهما وبين الخطبة له وشائج وثقى مع موضوع الخطبة ومقاصدها؛ إذ "يغدو رسالة إيديولوجية تتوخى إحداث التأثير المطلوب في المتلقي، وهادفة إلى تغيير الإنسان وتوجيه سلوكياته ومشاعره وعواطفه"[٤].

اتخذ الدعاء حيّزًا كبيرًا في الخطبة، على سبيل المثال لا الحصر: "اللهم **فرِّج** عنا ما ضاقت به صدورنا، اللهم **فرِّج** عنا ما ضاقت به صدورنا، وقلَّت معه حيلتنا، وضعفت عنه قوتُنا، **واجعلنا** في حفظك ...، اللهم **قِنَا** شرَّ الداء، و**اصرف** عنا هذا الوباء،

---

(١) الوصايا الأدبية إلى القرن الرابع هجريا: مقاربة أسلوبية حجاجية، ١٢٦.

(٢) الكتاب، سيبويه، ١٤٢/١، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

(٣) الأفعال غير الواجبة في كتاب سيبويه: الأمر– النهي أنموذجًا، نعيمة أزهري، ٥٠٨، ضمن كتاب (التداوليات: علم استعمال اللغة).

(٤) بلاغة الدعاء بحث في المبادئ والسمات والوظائف، عبد الفضيل أحمد ادراوي، ٣٦٣، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٨م.

و**نجِّنا** من البلاء ...، اللهم **فرِّج** عنا ...، اللهم **اغفر** ذنوبنا، و**استر** عيوبنا، **ونفس** كروبنا، **وعاف** مبتلانا، و**اشف** مرضانا، وارحم موتانا، اللهم **ارزقنا** طيب المقام، وحسن الختام، اللهم إنا **نسألك** اللطف فيما قضيتَ، والعون على ما أمضيت، فأنت الثقة لمن توكل عليك، والعصمة لمن فوض أمره إليك، **ارفع** عنا كل شكوى، و**اكشف** عنا كل بلوى، **وتقبل** منا كل نجوى، و**ألبسنا** لباس التقوى، **واجعل** الجنة لنا هي المأوى"[(١)]، ومن يتأمَّل في هذه الأدعية يجدها تجتمع على بؤرة دلالية واحدة هي: الرغبة في رفع الوباء عن الأمة، كما أتت موشحة بالسجع، والجناس؛ مما له تأثير "في تحقيق التواصل المطلوب بينه وبين المتلقي المقصود بالإقناع"[(٢)].

وفي لفتة كريمة من لدن الخطيب فقد دعا لمن لم يتسنَ لهم حضور صلاة العيد رجالاً ونساء بسبب الوباء واصفًا إياهم بأنهم (إخوة وأخوات)، يقول: "اللهم إن لنا إخوانا وأخوات لم يحضروا معنا هذا العيد، ولم يحضروا هذا المشهد، وإخوانا لنا آخرين لم يتمكنوا من إقامة هذه الشعيرة العظيمة، حبستهم كلَّهم هذه النازلةُ، اللهم فاكتب لهم الأجر، اللهم فاكتب لهم أجر مَنْ حضرها وأقامها، اللهم أجب سُؤلهم، وأكرمهم بالقبول والغفران، وأدخل السرور إلى قلوبهم، والبهجة في نفوسهم، واحفظنا وإياهم بحفظك، واكلأنا بعنايتك، واجعل هذا العيد مباركًا سعيدًا علينا وعليهم، وأَعِدْهُ علينا وعليهم سنين عديدة، وأزمنة مديدة، في صحة وسلامة وأمن وإيمان، وصلاح وقبول"[(٣)]، وتكشف الخطاطة التالية الأفعال الكلامية:

---

(١) خطبة العيد.

(٢) بلاغة الدعاء بحث في المبادئ والسمات والوظائف، ٢٤٢.

(٣) خطبة العيد.

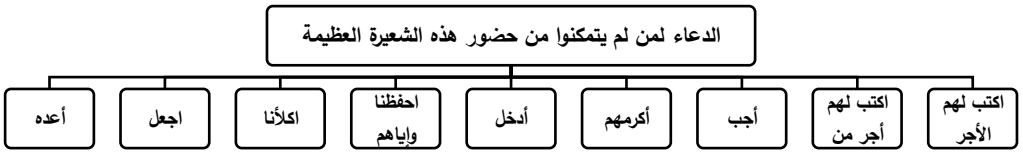

ذكر الخطيب تسعة أفعال دعائية تتدرج وفقا للأهمية: أتت خمسة منها خاصة لمن لم يحضر: (اكتب لهم، فاكتب لهم، أجب سؤلهم، وأكرمهم، أدخل السرور إلى قلوبهم...)، وقد كرر الفعل (اكتب) مرتين تأكيدا، ففي الأول كتابة الأجر مطلقًا دون تقييد، وفي الثاني كتابة أجر الحاضر ومن أقامها، فمن لم يتكمنوا من الحضور طمعًا في الأجر شعروا بالضيق؛ لذا تصدر الدعاء لهم بالأجر كرتين. وأتت بعد ذلك أربعة أفعال تعمّ من حضر ومن لم يحضر: (**احفظنا** وإياهم، **اكلأنا**، **اجعل** هذا العيد مباركًا سعيدًا علينا وعليهم، و**أعده** علينا وعليهم).

وقد ألحّ الخطيب بالدعاء لرفع البلاء، قال في ذلك: "اللهم ارفع عنا وعنهم الغلا والوباء والربا، اللهم ارفع عنا هذا الوباء، اللهم ارفع عنا هذا الوباء، اللهم اكشف الغمة عن الأمة، اللهم ارفع عنا وعنهم الغلا والوباء ..."[١].

وقد اقترن الفعل (ارفع) مع (الوباء) أربع مرات، والخطيب لم يسمِ المرض، بل ذكر (الوباء)، والوباء هو: "فَسادٌ يَعْرِض لِجَوْهَر الهَوَاءِ لأَسبابٍ سَمَاوِيّة أَو أَرْضِيَّة، كالمَاءِ الآسن والجِيَفِ الكثيرَة، كَمَا فِي المَلاحِم ...، وَذكروا لَهُ علاماتٍ، مِنْهَا الحُمَّى والجُدَرِيّ والنَّزَلَات"[٢]، وقيل إنَّه: "كلُّ مَرَضٍ عَامَ"[٣]. ولعلَّه باختياره (الوباء)، بوصفه اسمًا عاما، يبتعد عن ذكر اسم (كورونا) المخيف، ويلمّح إلى أنَّ الوباء كان دائمًا في

(١) خطبة العيد.

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس، مادة (وبأ)، ٤٧٨/١.

(٣) السابق نفسه.

الأمة، وقد رفعه الله في أزمنة عديدة، فيكون اختياره بهذا المعنى، له مقصد خفي تخفيفي على السامعين.

وكثيرا ما تآزر النداء والأمر في الدعاء، يقول في ذلك: "اللهم يا ذا الجود والمن، **احفظ** علينا هذا الأمن، و**سدد** قيادته، **وقو** رجاله، ورجال الصحة والخدمة الاجتماعية، **وخذ** بأيديهم و**شد** من أزرهم، **وقو** عزائمهم، و**زدهم** إحسانًا وتوفيقًا، وتأييدًا وتسديدًا"[(١)]، لقد أطنب الخطيب في الدعاء وهذا ما يتناغم مع السياق والحدث الجلل الوباء الذي وجلت له قلوب المسلمين كافة بل العالم بأسره، ومع ما أمر به الخطيب من قبل بالإلحاح في الدعاء.

ولا تخطئ العين أنَّ الخطيب توخّى في دعائه "ما يناسب الحال، ويشاكل المعنى ويوافق المخاطب"[(٢)]، وإذا كان ذلك كذلك فالدعاء "ينهض بوظائف تواصلية جمة، كالمساهمة في تحسين الموقف التخاطبي، وبناء جسور المودة بين الأطراف، وترسيخ قيم التأدب في العلاقة التواصلية"[(٣)].

ومن الأفعال الإنجازية أيضًا: (صلوا/ اللهم صل)، في قوله: "**صلّوا** و**سلّموا** على الرحمة المهداة والنعمة المسداة، نبيكم محمد رسول الله؛ فقد أمركم بذلكم ربكم في محكم تنزيله فقال وهو الصادق في قيله قولًا كريمًا: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا **صَلُّوا** عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)"[(٤)].

---

(١) خطبة العيد.

(٢) إحكام صنعة الكلام لذي الوزارتين، الكلاعي، ٧٣، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الثقافة، بيروت، (د.ط)، ١٩٦٦م.

(٣) بلاغة الدعاء بحث في المبادئ والسمات والوظائف، ٩٢.

(٤) خطبة العيد.

إنَّ للصلاة على النبي ﷺ "غاية إقناعية حجاجية، وغاية إرشادية إصلاحية توجيهية، من صميم رسالة الداعي التوصيلية، وتعد جزءًا من دوره التوجيه سعيًا إلى الأخذ بيد الإنسان لضمان خلاصه الروحي والمعنوي"[١].

تتضمن الأفعال الكلامية السابقة قوة إنجازية تتراوح بين الدعاء والنصح والإرشاد، والحثّ على العمل بتلك الأفعال التوجيهية التي ما فتئ الخطيب يتكئ عليها، داعيا إلى الفرح بالعيد، واتخاذ الاحترازات اللازمة للوباء ولا ريب في أنَّ "كل توجيه هو تعبير عن رغبة بأن يقوم المستمع بالفعل الموجه به"[٢].

- **النداء**[٣]:

عُد النداء من التوجيهات؛ إذ إنه "يحفز المرسل إليه لردة فعل تجاه المرسل"[٤]، وله خاصية؛ إذ "النداء اختص من بين أمته، لأمرك ونهيك أو خبرك"[٥]، وعدَّ سيبويه النداء "بمنزلة حرف للخطاب، وهو صوت للتَّنبيه، وهو إمَّا أن يفيد تخصيص المخاطب بالكلام الذي يأتي بعد التنبيه لجعله معنيّا به دون غيره، وإمَّا أن يفيد توكيد المخاطب في حال كون المخاطب يعلم أنه المعنيّ بالكلام، ولكَّ في ندائه زيادة تنبيه وتوكيد

(١) بلاغة الدعاء بحث في المبادئ والسمات والوظائف، ٢٩٧.

(٢) العقل واللغة والمجتمع: الفلسفة في العالم الواقعي، جون سيرل، ترجمة: سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف، الجزائر، المركز الثقافي العربي، المغرب، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠١م.

(٣) النداء: "هو طلب إقبال المدعو إلى الداعي، وللنداء عدة أدوات ...، ويخرج إلى أغراض مختلفة"، معجم المصطلحات البلاغية وتطوّرها، ٣/٣٢٦-٣٢٧.

(٤) استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، د. عبد الهادي بن ظافر الشهري، ٢/١٢٥، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمّان، ط٢، ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م.

(٥) الكتاب، سيبويه، ٢/٢٣٢.

وإثارة، وربَّما كان ذلك رغبة من المتكلِّم في إقناع المخاطب بما سيعلمه به من كلام"[١]، وقد يصاحب النداء الخبر أو الأمر أو النهي أو الاستفهام؛ لأنه "إذا أقبل عليه وأصغى إليه اندفع يحدثه أو يأمره أو ينهاه أو نحو ذلك"[٢].

وقد نُقلت هذه الخطبة عبر الأثير، وعبر وسائل الإعلام المرئية والمسموعة؛ إذ عبرت فجاج الأرض، والمحيطات، وهي كأي خطبة لا تخلو من النداء؛ إذ "أول الكلام أبدًا النداء، إلا أن تدعه استغناء بإقبال المخاطَب عليك، فهو أول كل كلام لك به تعطف المتكلَّم عليك"[٣]؛ والغرض من النداء "التصويتُ بالمنادى ليُقْبِلَ، والغرضُ من حروف النداء امتدادُ الصوت وتنبيهُ المدعوّ، فإذا كان المنادَى متراخِيًا عن المنادِي، أو مُعْرِضًا عنه لا يُقْبِل إلّا بعد اجتهادٍ، أو نائمًا قد استثقل في نَوْمه، استعملوا فيه جميعَ حروف النداء ما خلا الهمزةَ، وهي (يَا) و(أيَا)، و(هَيَا)، و(أيّ) يمتدّ الصوتُ بها ويرتفع"[٤].

ورد النداء في أربعة وعشرين موضعًا، وثمة تراوح بين وجود حرف النداء وبين حذفه؛ وقد اقتصر الخطيب في أدوات النداء على حرفين من حروف النداء، فأتى بـ

(١) الإنشاء في العربيَّة بين التَّركيب والدَّلالة: دراسة نحوية تداولية، د. خالد ميلاد، ١٦٣، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.

(٢) الخصائص، ابن جني، ١/ ٢٤٧، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، المكتبة العلمية، (د.ت).

(٣) الكتاب، سيبويه، ٢٠٨/٢.

(٤) شرح المفصل للزمخشري، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع، ٣٦١/١، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

(يا)[١] في ستة مواضع، وأتى بـ (أيها)[٢] في ستة مواضع أيضًا، وقد كثر النداء بها في القرآن الكريم؛ إذ فيها ضرب من التأكيد والمبالغة. ومقتضى الحال في الأمور العظام مناداة الله عبادَه بالآكد والأبلغ[٣]. وأتى اثنا عشر نداء غفلاً من حرف النداء، ففي الحذف أضحى المنادى "بمنزلة مَن هو مقبِلٌ عليه بحضرته يخاطبه"[٤]، وكأنه "قريب مفاطن للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحله"[٥].

وقد تنوع المنادى في الخطبة حيث تكرر "معاشر المسلمين" أربع مرات، و"عباد الله" مرتين، ووردت "معاشر الإخوة" ثلاث مرات، ومرة واحدة النداء بـ "معاشر الأحبة"، وكأنَّ هذه النداءات لمدّ الجسور مع المستمعين، فهي تنبيهات تتكرر بصيغ مختلفة، وتشي بشيء من التودد واللطف.

ومن يتأمل في المنادى يجد أنَّ المنادى أتى متنوعًا بين الإفراد والجمع، فمن الجمع نداؤه (الناس)، وتارة (المسلمين)، وتارة (معاشر الأحبة)، وتارة (الإخوة)، وتارة

---

(١) وحرف النداء (يا) "وضع في أصله لنداء البعيد، صوت يهتف به الرجل بمن يناديه. وأما نداء القريب فله (أي) و(الهمزة)، ثم استعمل في مناداة من سها وغفل وإن قرب. تنزيلا له منزلة من بعد، فإذا نودي به القريب المفاطن فذلك للتأكيد المؤذن بأن الخطاب الذي يتلوه معنىّ به جداً"، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ١/٩٠، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧ هـ.

(٢) إن "كلمة التنبيه المقحمة بين الصفة وموصوفها لفائدتين: معاضدة حرف النداء ومكانفته بتأكيد معناه، ووقوعها عوضا مما يستحقه أيّ من الإضافة"، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ١/٩٠، بينما يرى د. المتوكل من منظور لساني وظيفي أنَّ "العبارة (أيها) أصبحت من (التحجر) بحيث لا يمكن اعتبارها إلا أداة واحدة تدخل على المنادى كباقي أدوات النداء الأخرى"، الوظائف التداولية في اللغة العربية: المقاربة والمعيار، د. أحمد المتوكل، ١٥٦، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط١، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

(٣) ينظر: السابق، ١/٩٠.

(٤) الكتاب، ٢/ ٢٣٠.

(٥) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ٢/٤٦١.

(الإخوة في الله)، ولا ريب في أنَّ "أُخُوَّةُ الدِّينِ أَثْبَتُ مِنْ أُخُوَّةِ النَّسَبِ، فَإِنَّ أخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين، وَأُخُوَّةَ الدِّينِ لَا تَنْقَطِعُ بِمُخَالَفَةِ النَّسَبِ"(١).

ولم ينوِّع في المنادى بين جمع وإفراد بغية التنويع فحسب، إنما وفق ما يقتضيه السياق، فقد أتى المنادى في الجميع جمعًا ماعدا في ثلاثة مواضع فقط، حيث استعان الخطيب بالمنادى الفرد (يا عبد الله)، الأول في قوله: "وأنتَ يا عبد الله مطلوب، فمتى تتوب؟"(٢)، والثاني في قوله: "يا عبد الله: هاجِر إلى الله وإلى رسوله، بقلبك وعبادتك، سبِّح بحمد ربك، وصلِّ وتصدَّق، وصم واعمل صالحًا، والزم بيتك، وعليك بخاصة نفسك تَحفظ نفسك وتَحفظ غيرك"(٣)، أما الموضع الثالث: "يا عبد الله: احفظ نفسك ووقتك، واستغفر لذنبك، وسبح بحمد ربك، بالعشي والإبكار، والغدو والآصال، لا تُكثر من تناقُل الأخبار"(٤). ومن يتأمَّل تلك التوجيهات التي أتت بعد النداء يجد أنها من باب (صلاح الفرد من صلاح المجتمع)، ففي الأول التوبة، وفي الثاني والثالث حفظ الوقت بعمل الصالحات ولزوم البيت وعدم تناقل الأخبار، وقد كان من توجيهات الصحة لزوم البيت؛ لئلا ينتشر الوباء.

وبعد إمعان النظر في الثلاثة المواضع يتضح أنَّ المنادى (عبد الله/ الفرد) جاء للفت انتباه الفرد بما كان لزامًا عليه، والإعلاء من شأن تركيزه واهتمامه، والأخذ بتلابيب سمعه ليكون مدركًا للتوجيهات المنوطة به مما تعود عليه بالنفع، وتفضي لما هو مهم، هذا الإفراد إفراد له بأنه هو المقصود، وكأنه يخص كل فرد بعينه؛ ليسترعي انتباهه.

---

(١) تفسير القرطبي= الجامع لأحكام القرآن، ٣٢٢/١٦، ٣٢٣، تحقيق: أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م.

(٢) خطبة العيد.

(٣) السابق.

(٤) نفسه.

وبون بين أن يتوجّه إلى الجماعة دفعة واحدة، وبين أن يتوجّه إلى كل فرد من أفراد هذه الجماعة، فالنداءات الأولى (معاشـــر المســـلمين، عباد الله ...إلخ) تتجه إلى العموم، والثانية (عبد الله) إلى الخصوص.

إنها نداءات تنتقل من الجماعة إلى الفرد داخل الجماعة، وهو على هذا الأساس، انتقال من المهم إلى الأهم؛ لاستهداف المسؤولية الفردية داخل الجماعة، وهو انتقال فيه وعي تداولي وإدراك للسياق وفهم لنفسية المخاطب، فالخطيب –هنا– خبير بطرائق التأثير في الآخرين، بما يملكه من كفاءة تواصـــلية تداولية، يعرف من خلالها متى يوجه الخطاب إلى الجماعة؟ ومتى يوجه إلى الفرد؟

أضحى النداء قبل كل توجيه –سواء أكان صريحًا أو غير صريح– جسرًا يعبر به من توجيه إلى توجيه، وهمزة وصل يشد به أجزاء الخطبة، وينبئ عن تغير موضوع التوجيه.

إنَّ هذا اللون من التوجيه في النداء من ألوان التلطف مع المتلقين؛ لتقبل العيد الذي لم يكن كالأعياد الســـابقة؛ إذا التزاور والاجتماعات والخروج دون قيود مكبلة أو توجيهات صـــارمة، أليس الفطن الحاذق هو "من ينظر في أحوال المخاطبين"؟[(١)]، ومن الطبعي أنَّ "النفس تقبل اللطيف، وتنبو عن الغليظ، وتقلق من الجاسي البشع"[(٢)].

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق، ٣٥٧/١، د. النبوي عبد الواحد شعلان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

(٢) كتاب الصناعتين، العسكري، ٥٧، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩هـ.

- **الاستفهام**[(١)]:

تعد الأسئلة الاستفهامية ضربًا من ضروب التوجيه، وهي لا تحصر مهمتها في كونها "توجه المرسل إليه إلى خيار واحد، وهو ضرورة الإجابة عليها، ومن ثمَّ فإنَّ المرسل يستعملها للسيطرة على مجريات الأحداث، بل وللسيطرة على ذهن المرسل إليه"[(٢)]. ولكنها قد لا تتطلب إجابة، خصوصًا في الاستفهام البلاغي الذي يرمي إلى مقاصد تداولية أخرى، تخرجه عن "مقتضى الظاهر"[(٣)] باصطلاح البلاغيين.

لم يلجأ الخطيب إلى الاستفهام إلا في موضعين:

- الأول: "فمتى تتوب؟" وتكمن القوة الإنجازية في الاستفهام أنَّه "ليس سؤالاً يجاب عنه بنعم أو لا، ولكنه صيغة مهذبة ومشفرة ثقافيًّا يفهمها المخاطب بوصفها"[(٤)] استبطاء مشوبًا بتحضيض؛ للتأثير في سلوك المتلقي وتوجيهه لفعل التوبة والعودة إلى الله عز وجل، إنَّ هذا الوباء ينذر بالمرض أو الموت؛ لذا لا بدَّ أن يتدارك المرء نفسه بالتوبة والعودة إلى من له الرجعى.
- الثاني: في قوله: "الغمة ستنكشف –بإذن الله–، ولكن ماذا بعدُ؟ الناجي من الوباء هو مَنْ فَهِمَ الرسالةَ، وسارَع إلى التوبة، وأعاد ترتيب حياته وأولوياته، الناجي مَنْ

(١) طلب العلم بشيء لم يكن معلومًا من قبل، وله أدوات كثيرة، ويخرج الاستفهام إلى أغراض عديدة، لمزيد بيان، ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطوّرها، ١/١٨١-١٩٤.

(٢) استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، ٢/١١٥.

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، المكتبة الأزهرية للتراث، ط٣، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.

(٤) المقاربة التداولية للأدب، إلفي بولان، ٥٢، ترجمة: محمد تنفو، ليلى أحمياني، مراجعة وتقديم: سعيد جبار، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠١٨م.

أدرَك أن الأمان ليس في مال يُكنَز..."، فالقصد الضمني[١] إنجاز عمل (التعجب) بواسطة عمل ثانوي هو (السؤال)[٢].

وقد أسهم الفعل الإنجازي غير المباشر (ماذا بعد؟) في نقل المخاطَب إلى ما بعد مرحلة التخلّص من الوباء؛ وفي ذلك تحصيل لغرضين متكاملين، الأول: طمأنة المخاطَبِين بتلاشي هذا الوباء وزواله، ولعلَّه من قبيل "سحابة صيفٍ عن قليل تنقشع"[٣]؛ مما يخفّف من ضغوطهم النفسية ويشعرهم بالأمل القريب. والثاني: تذكيرهم بأهمية فهم الرسالة المتضمنة في قسوة الوباء، فكأنما اللبيب هو من يتعظ، ويفهم العبر والعظات من درس الوباء القاسي.

- **النهي**[٤]:

لم يتكئ الخطيب على النهي إلا في موضعين فقط، إذ أتى النهي (لا الناهية + فعل مضارع) في جملتين متتاليتين، يقول: "**لا تُكثر** من تناقُل الأخبار، **ولا تشتغل** بتقليب التغريدات، فالعمر بين ذلك يضيع، والنفع من ذلك قليل"[٥]، ولعلَّ مردّ ذلك إلى ملاءمة

---

(١) ومن أمثلة القصد الضمني قوله: "(هل تستطيع أن تناولني الملح؟)، وكان مقصده المتضمن في القول إنجاز عمل أولي (الالتماس) بواسطة عمل ثانوي (السؤال)"، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن روبول/ جاك موشلار، ٥٩، ترجمة: د. سيف الدين دغفوس، ود. محمد محمد الشيباني، مراجعة: د. لطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م، وينظر: العبارة والمعنى: دراسات في نظرية الأعمال اللغوية، ٦١-٧٠.

(٢) ينظر: السابق نفسه.

(٣) مجمع الأمثال، الميداني، ٣٤٤/١، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، لبنان، (د.ت).

(٤) النهي هو: "طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام ...، وله صيغة واحدة هي المضارع المقرون بـ (لا) الناهية، وقد تخرج هذه الصيغة إلى معان مجازية كثيرة، منها: الدعاء..."، معجم المصطلحات البلاغية وتطوّرها، ٣٤٤/٣-٣٤٦.

(٥) خطبة العيد.

المقام والموقف النفسي المتأزم، فطبيعة النفس تأبى كثرة (اللاءات). والفعل التأثيري الذي ينتمي إليه النهي السابق، له قوتان: قوة إبلاغية تكمن في الوظيفة الكامنة الفعل الكلامي، وقوة تأثيرية تكمن في آثار الفعل الكلامي[١]. وإذا كانت القوة الإبلاغية واضحة في النهي، فإنَّ القوة التأثيرية يؤججها ما بعد النهي: "فالعمر بين ذلك يضيع، والنفع من ذلك قليل" فهذا تذكير بالمآلات السلبية والعواقب الوخيمة، التي من شأنها أن تستنهض الهمم للكفِّ عن الأفعال غير المرغوبة.

(١) ينظر: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، حمو الحاج ذهبية، ١٣٨، الأمل للطباعة والنشر، المدينة الجديدة، تيزي وزو، ط٢، ٢٠١٢م.

المبحث الثالث

التوجيهات المضمرة

هي التوجيهات المطوية في الخطاب، أي الأخبار المتضمنة معنى الطلب، وقد صنَّف الشاطبي (ت ٧٩٠ هـ) بعض الأوامر والنواهي أنها غير صريحة، وذكر ثلاثة ضروب، فقال: "أَمَّا الْأَوَامِرُ وَالنَّوَاهِي غَيْرُ الصَّرِيحَةِ؛ فَضُرُوبٌ، أَحَدُهَا: مَا جَاءَ مَجِيءَ الْإِخْبَارِ عَنْ تَقْرِيرِ الْحُكْمِ ...، الثاني: مَا جَاءَ مَجِيءَ مَدْحِهِ أَوْ مَدْحِ فَاعِلِهِ فِي الأوامر، أو ذمه أو ذم فاعله...، وَتَرْتِيبِ الثَّوَابِ عَلَى الْفِعْلِ فِي الْأَوَامِرِ، وَتَرْتِيبِ الْعِقَابِ فِي النَّوَاهِي أَوِ الْإِخْبَارِ...، الثالث: مَا يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ الْمَطْلُوبُ؛ كَالْمَفْرُوضِ فِي مَسْأَلَةِ "مَا لا يتم الْوَاجِبُ إِلَّا بِهِ"[(١)]، وقد خالفه د. عبد الهادي الشهري في ذلك؛ إذ يرى أن "ذكر العواقب من الآليات المباشرة، وبالتالي الصريحة، معللاً بأن المرسل قد يوجه "المرسل إليه وفق ما يريده غير مكترث بمنفعته"[(٢)]، وأميل إلى ما ذهب إليه الشاطبي بأنها من غير الصريحة (المضمرة)، وآية ذلك ما ذكر د. الشهري أن ذكر العواقب درجة أقل من الأمر والنهي.

قد يؤتى بالطلب بصيغة الخبر؛ لأنَّ "الطالب إذا عظمت رغبته في شيء يكثر تصوره إياه ...، فربما يخيل إليه حاصلاً فيعبر عنه بصيغة الحصول بناء على ذلك

(١) الموافقات، الشاطبي، ٣/٤٢٢- ٤٢٣، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

(٢) استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، ٢/١٢٧.

التخيل فالتعبير بصيغة الحصول يفهم منها تخيل الحصول الملزوم لكثرة التصور الملزم لكثرة الرغبة المقتضية للمبالغة في البحث على الامتثال"[١].

وعند إمعان النظر في خطبة ابن حميد يلحظ اتكاء الخطيب على إخراج الأمر في صورة الخبر، ولئن بنيت الخطبة على الاستراتيجيات التوجيهية الصريحة، فقد عزّزها أيضًا بآليات تداولية تنتمي إلى التوجيهات المضمرة وفق مبدأ العرض لا الفرض، فالخطبة مفعمة بالأخبار المتضمنة معنى الطلب، ولا غرو في ذلك فهو الخطيب الذي يدرك لما في المضمر من أهمية قصوى في التوجيه، كيف لا؟ وقد ألَّف كتابًا عتبته الأولى: (التوجيه غير المباشر في التربية وتغير السلوك)[٢].

ولبيان التوجيهات المضمرة في الخطبة نقف عند الصيغ الآتية: (من الدروس)، (من دروس هذه النازلة)، (من دروس هذه الجائحة)، (من دروس هذا المخلوق الصغير)، (مكتسبات المحن)، (من دروس هذا البلاء)، حيث تتجلى فيها ثلاثة أمور:

- لجأ الخطيب إلى (من) التبعيضية؛ أي هذه (بعض من كل) وهذا أجود في الخطاب، وفيه إشارة إلى أنَّ الدروس كثيرة، إلا أنَّ الخطيب اكتفى بذكر بعض منها.
- يلحظ التنويع فيما بعد لفظة الدروس: (النازلة، الجائحة، الوباء، مخلوق صغير، البلاء، الابتلاء).

(١) مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، ابن يعقوب المغربي، ١/٥٢٠، د. خليل إبراهيم خليل، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

(٢) ينظر: التوجيه غير المباشر وأثره في التربية وتغيير السلوك، صالح بن عبد الله بن حميد، دار المسلم للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٣م.

- لا ريب في أنَّ التقديم والتأخير (من الدروس ....) له "أهمية قصوى في اللغة العربية لبلوغ أهداف تواصلية مقاميًّا"[١].

ويتبادر إلى الذهن سؤالان: لم ركن الخطيب إلى الألفاظ التالية: (من الدروس)، (من دروس هذه النازلة)، (من دروس هذه الجائحة)، (من دروس هذا المخلوق الصغير)، (مكتسبات المحن)، (من دروس هذا البلاء)، بدلا من الوسائل اللغوية التوجيهية الصريحة؟ هل أتت دون قصد أو كان الخطيب مدركًا أن النفوس مثقلة بما حلَّ بها وبالعالم أسره؛ لذا يحاذر، فأتى التوجيه بعيدًا عن سياط الأفعال اللغوية والتوجيهات المباشرة، متكئًا على الإضمار وذكاء المتلقي والسياق؛ إذ الخطبة في يوم العيد، والعيد بهجة وفرح، لا همّ وترح؟

لا ريب في أنَّ الخطيب وضع نصب عينيه أن "نجاعة الخطاب وفعله في المخاطب رهينان إذن باستحضار المتكلم لطبيعة المستمعين ومواقفهم وظروفهم ... فالقول المقنع لا يكون غفلاً بل حاملاً لانتظارات المتلقين"[٢]، وكان الخطيب مدركًا ما اعترى الناس من ضيق وكدر، وما شابهم من حزن وضجر، وكأنه آل على نفسه ألا يثقل عليهم بتوجيهات صريحة، متخذًا من المضمر مدخلاً ووشاحًا لبعض توجيهاته.

ومن شواهد التوجيهات المضمرة في الخطبة، قوله: "أما دروس هذه الجائحة وعبرها فحدِّث عن الجائحة ولا حرج، من هذه الدروس عباد الله: درس الابتلاء، فالبلاء مع الصبر يقوِّي القلب ...، معاشر الإخوة: في الابتلاء يراجع العبد علاقتَه مع ربه، وصدقه في الالتجاء إليه وحده، وحُسْن توكله عليه، وقطع كل أسباب التعلق بغيره

(١) الوظائف التداولية واستراتيجيات التواصل اللغوي في نظرية النحو الوظيفي، ٢١.

(٢) بلاغة الإقناع في المناظرة، د. عبد اللطيف عادل، ٦٦، منشورات ضفاف، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ١٤٣٤هـ.

..."[١]، فالفعل الإنجازي المضـــمر المبتغى من ذلك: راجع علاقتك مع ربك، والتجئ إليه، وتعلق به وحده، وهذا الابتلاء دواء، فتأملوا فوائد الابتلاء؛ إذ إن "إضـــمار فعل الأمر كان لمزيد إظهاره، وغيابه كان شاهدًا على قوة حضوره"[٢].

ومن الخبر الذي أضمر فيه التوجيه أيضًا، قوله: "ومن دروس هذه النازلة: التبتُّل في العبادة وإحسان الوقوف بين يدي الله، فقد كان الإمام مسروق بن الأجدع، التابعي الجليل –رحمه الله– يمكث في بيته أيام الطاعون ويقول: ((أيام تشاغُل؛ فأُحب أن أخلو للعبادة))، وأصدَق من ذلك وأبلغ قول نبينا محمد ﷺ: ((العبادة في الهرج كهجرة إليَّ))"[٣]، فالفعل الإنجازي المضمر هنا هو: تبتلوا في العبادة، وأحسنوا الوقوف بين يدي الله، ثم يلجأ إلى ما قاله التابعي بعد ذلك نبينا محمد ﷺ، وهذا أدعى للامتثال لهذا التوجيه، وأنجع للتأثير. وبهذين الشاهدين –المحكومين بتراتبية ألمع إليها الخطيب– يتجلَّى القصد المضمر، ولا ريب في أنَّ الرجوع إلى الله دواء للخوف وجلاء للهلع الذي هيمن بسبب الوباء، وقد نادت بذلك بعض الأبحاث المعاصرة التي تناولت أثر الوباء على الصحة النفسية[٤].

وفي تكرار هذا التوجيه المضـــمر يجذّر الخطيب أهمية الرجوع إلى الله، والتبتل إليه، ولا يعزب عن الخطيب أنَّ المتكلم لا ينجح في التواصـــل إلا إذا "فهم المســـتمع ما

(١) خطبة العيد.

(٢) الوصايا الأدبية إلى القرن الرابع هجريا: مقاربة أسلوبية حجاجية، ١٣٦.

(٣) خطبة العيد.

(٤) ينظر: مهددات الصحة النفسية المرتبطة بالحجر المنزلي إثر فيروس كورونا المستجد (COVID –19)، سعيد سالم بن محسن الأسمري، المجلة العربية للدراسات الأمنية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، مج٣٦، ع ٢، يوليو، ٢٠٢٠م.

توخاه"[١]، وتعرَّف على "القصد الذي أنجز من خلاله الفعل"[٢]، وعلم أنَّ هذا القصد هو ما يهدف إليه النص تحديدًا، وفي هذا ينبِّه أومبرتو إيكو (ت ٢٠١٦م) إلى أنَّ "ما بين قصدية الكاتب الصعبة الإدراك، وبين قصدية القارئ، هناك القصدية الشفافة للنص التي تدحض كل تأويل هشّ"[٣]، ففي المضمر ثمة مساحات بيضاء يتركها المخِاطب للمخَاطب ليملأها وفق قصدية النص.

ومن الأوامر المضمرة التي لجأ إليها الخطيب تخفيفًا من وطأة الجائحة على النفوس، قوله: "من دروس هذه الجائحة: التباعد الاجتماعي؛ هذا التباعد هو تقارب، محطة هادئة جميلة، اجتماع مقتصر..."[٤]، يظهر هذا النّص من الخطبة تحوط الخطيب من الأمر الصريح (تباعدوا) تلطيفًا وتليينًا، بل إنَّه يضاعف من هذا التلطيف والتليين حين يضيف ما يكشف عن (حقيقة التباعد الاجتماعي) بما هي (تقارب في العمق). فلم يلحق هذا التوجيه بفعل كلامي طلبي؛ درءًا للملل من جهة؛ وأنَّ المأمور به خلافًا للمألوف؛ إذ العيد للتقارب لا للتباعد، فاكتفى بذكر العواقب.

وإن كان في التباعد من مكابدة، والاقتصار على أولي القربى من مجاهدة، فهو أهون من التشرد عن الوطن، أو السكن في الخيام أو النقص في الطعام؛ لذا أردف قائلا عن نعم الله عليهم: "الحمد لله، اجتماع مقتصر، مع الأحبة، مع الآباء والأمهات والأزواج والأولاد والإخوة والأخوات، لم تُشرَّدوا من الأوطان، ولم تَسكنوا الخيام، ولم ينقص الطعام، تملكون الصحة والعافية واجتماع شمل الأسرة...، في مراجَعات لسياسات الإنفاق الأسري

(١) المقاربة التداولية للإحالة، يوسف السيساوي، ٤٦٧، ضمن كتاب (التداوليات: علم استعمال اللغة).

(٢) السابق نفسه.

(٣) التأويل بين السيمائيات والتفكيكية، أومبرتو إيكو، ١٠٠، ترجمة وتقديم: سعيد بنكراد، المركز الثقافي، الدار البيضاء، ط٢، ٢٠٠٤م.

(٤) خطبة العيد.

وعادات الإسراف وطرائق التواصل الاجتماعي والتكافل الإيجابي، والموازَنة بين الضروريات والحاجيات والكماليات"[١]، كان هذا البلاء على أشدِّه إبَّان شهري رمضان وشوال؛ لذا اتخذ الخبر بدلاً من الفعل التوجيهي المباشر –(تذكروا نعم الله عليكم فاحمدوه، وتأملوا أنَّ في المحن منحًا عديدة، راجعوا سياسية الإنفاق الأسري، وغيروا وسائل التواصل الاجتماعي)– في هذا المقام وهذا أبلغ؛ إذ فيه "حمل المخاطب على المذكور أبلغ حمل بألطف وجه"[٢]، إنَّ جملة: (من دروس ...)، لا تفصح عن توجيهات مضمرة قصيرة فحسب، بل فصَّل الخطيب في كلِّ توجيه ضمني وما ينجم عنه من نفع.

ومن الأفعال المضمرة قوله: "التفطُّن العظيم لنعمة الأمن والصحة والفراغ وحرية الحركة والتنقل والاجتماع، وإدراك العقلاء أنَّ الاقتصار على أساسيات الحياة والاكتفاء الذاتي من أعظم أسباب التغلب على كثير من نوازل الحياة وتقلباتها وهامشياتها"[٣]، فالتوجيه المضمر: تفطنوا في نعمة الأمن والصحة والفراغ واقتصروا على الأساسيات دون الكماليات، هذا الإضمار يشي بأنهم تفطنوا وامتثلوا لذلك؛ لأنَّ "إخراج الأمر في صورة الخبر تأكيد للأمر، وإشعار بأنه مما يجب أن يتلقى بالمسارعة إلى امتثاله ...، وبناؤه على المبتدأ مما زاده أيضًا فضل تأكيد"[٤].

ومن ذلك أيضًا قوله: "ولقد برز في هذه الدروس حُسْن مبدأ السمع والطاعة لولاة الأمور وعظم أثره في الرضا والطمأنينة والاستقرار وبروز جهود الدولة المباركة، وحُسْن

(١) خطبة العيد.

(٢) مفتاح العلوم، السكاكي، ٣٢٥، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ.

(٣) خطبة العيد.

(٤) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ١/٢٧٠.

رعايتها ..."[١]، فالتوجيه المضمر هو: اسمعوا وأطيعوا لما يأمر به ولاة الأمر، وتأملوا جهود الدولة المباركة.

ومن المضمر أيضًا: " فإنَّ النجاح والنجاة من هذا الابتلاء هو في حفظ مكتَسبات المحن، وهي مكتسبات منها ما هو في جنب الله وجنابه –عز شأنه–؛ من الرضا والصبر وحُسْن التوكل والرجوع إليه والتعلق به ولزوم طاعته؛ إنا لله وإنا إليه راجعون، فتكون الرحمة ..."[٢]، فالفعل الإنجازي المضمر هو: احفظوا مكتسبات المحن، فارضوا واصبروا وتوكلوا على الله، وقولوا: إنا لله وإنا إليه راجعون، بهذا المضمر يُطمئن المخاطب، ويفتح باب الأمل في انجلاء هذه الجائحة، وتكون تلك الدروس في ظاهرها أخبار وفي باطنها توجيهات متناغمة مع السياق والمقام.

ثم تابع الخطيب بقية مكتسبات المحن، يقول: "ومن المكتَسبات: التجاوب مع التعليمات، والتعاون مع الجهات؛ ليكون المسلم على مستوى المسئولية، في الثقافة والسلوك والالتزام بالأنظمة والابتعاد عن الشائعات، وتقدير إجراءات الدولة وقراراتها"[٣]، فالفعل الإنجازي الذي ينشده الخطيب هو: اتبعوا التعليمات وتجاوبوا، وتعاونوا مع الجهات المختصة، وابتعدوا عن الشائعات، وقدِّروا ما تصنعه الدولة لكم من قرارات وإجراءات.

إنَّ نزوع الخطيب إلى هذه الصيغة المضمرة التي يحفّها اللطف واللين تاركًا إكراه المتلقي بالأوامر والنواهي –ينم عن وعي الخطيب كيف أنَّ الوباء قد ضاق به الناس ذرعًا؟ مما ينبغي على المخاطَب الموازنة بين أقدار المعاني وبين أقدار المستمعين وأقدار الحالات؛ "فيجعل لكل طبقة من ذلك كلامًا ولكلِّ حالة من ذلك مقاما، حتى

(١) خطبة العيد.
(٢) خطبة العيد.
(٣) السابق.

يقسِّم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسّم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات"[١].

وقوله أيضًا: "آيات التخويف إذا تعامل معها التعامل الشرعي عظُم أجره، واطمأن قلبه، وزاد إيمانه وعظم ثباته، يقول نعمان بن بشير -ﷺ-: (إن الهلكة كل الهلكة لمن يعمل بالسيئات وقت البلاء)"[٢]. فيكون الفعل الإنجازي هو: تأملوا في آيات التخويف وتدبَّروها.

وقوله: "عباد الله: عجيب أمر البشر؛ من دروس هذا البلاء أن أصبح أقصى أماني الناس أن يعودوا إلى حياتهم السابقة، التي كانوا غافلين عن جمالها ورفائها، أدرَكوا معنى الحديث: (من بات آمنًا في سربه...)"[٣]، يتجلَّى الفعل الإنجازي في: استشعروا النعم التي كنتم ترفلون فيها.

ومنه قوله: "العيد مناسبة كريمة لتصافي القلوب، ومصالحة النفوس...، وإن في مواقع التواصل الاجتماعي ...، طرائق حسنة، وأبواب متسعة، للكلام الطيب، وإدخال السرور، وحسن الحديث، ولطيف المتابَعة، ورقيق السؤال وتبادُل عبارات المرح المباح"[٤]، فالفعل الإنجازي المضمر هو: تصافوا وتصالحوا، ولتكن همزة الوصل بينكم وبين أقاربكم وسائل التواصل الاجتماعي وبثوا السرور واللطف، افرحوا وامرحوا. وبذلك يحذِّر من مغبة التقارب الاجتماعي، ويأمرهم المخاطَبين بالوصل؛ لئلا يتخذوا القطيعة عقبة كأداء وذريعة في ظل الاحترازات من هذه الجائحة، فتكون تلك الأفعال الإنجازية المضمرة وسيلة للشدِّ من أزر المخاطبين.

---

(١) البيان والتبيين، الجاحظ، ١٣١/١، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.

(٢) خطبة العيد.

(٣) السابق.

(٤) خطبة العيد.

وأتى الخطيب ببعض الحكم والأمثال "لطلب ضمني يستخلصه المتلقي"[١]، جاء في الخطبة: "مَنْ أكثَر الرقادَ لم يبلغ المراد، ومَنْ غلَبَه النوم سبَقه القوم، والأيام دول، والمعاصي ديون"[٢]، فالطلب المضمر هو تجنبوا الكسل، ولا تعتريكم الغفلة، والبدار البدار إلى العمل. فظاهر الأمثال أنها أخبار، أما باطنها فهو تضمين طلب، "ويوضح الرسم التالي طبيعة هذه العملية:

١: ظاهر، صريح، ذو قيمة إخبارية، (Valeur informative)، (اعلم).

٢: خفيّ، ضمنيّ، ذو قيمة حجاجية، (Valeur argumentative)، (اعمل)"[٣] .

ويرى سورل أنَّ من "أهم البواعث إلى استخدام الأفعال غير المباشرة هو التأدب في الحديث"[٤]، ولا غرو في أنَّ الخطيب يتكئ على الأفعال غير المباشرة؛ لأنَّ المقام مقام نصح وإرشاد هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى أدعى للقبول في نفوس المتلقين، وأحرى بالاستجابة؛ ولا غرو أنَّ "المعنى الذي نستنتجه بأنفسنا يكون ألزم لنا بالحجة، ونكون أشد تسليمًا به، وأكثر إذعانًا له من المعنى الذي يقدَّم لنا جاهزًا ومباشرًا في شكل دلالة تصريحية"[٥]، فلم يقصد الخطيب أن يحيط المتلقين خُبرا بهذه الدروس، إنما في تضاعيفها توجيهات لئلا ينوء بكاهل المتلقين بتوجيهات صريحة من جهة، ولتكون ألزم وآكد من جهة ثانية، ولم يلق تلك التوجيهات المضمرة على عواهنها، بل أتت

(١) الوصايا الأدبية إلى القرن الرابع هجريا: مقاربة أسلوبية حجاجية، ٢٢٨.

(٢) خطبة العيد.

(٣) الوصايا الأدبية إلى القرن الرابع هجريا: مقاربة أسلوبية حجاجية، ٢٤١.

(٤) نحو نظرية عربية للأفعال الكلامية، ١٨٠.

(٥) ينظر: الوصايا الأدبية إلى القرن الرابع هجريا: مقاربة أسلوبية حجاجية، ١٤٩.

ممزوجة بالاستدلال تارة، وبذكر العواقب المترتبة عليها تارة أخرى؛ وبهذا قد مكَّن الخطيبُ المستمعَ من توليد المعرفة بغية الوصول إلى مآرب المتكلم ومقاصده[١].

يتجلَّى مما سبق أنَّ في المضمر مسكوتًا عنه يتحمل المستمع عبء تفكيك شفراته بما يمتلكه من كفاءات تأويلية وثقافية واستدلالية، وقد رأت ف. أرمونغو أنَّ هذا المسلك في الخطاب "يبلغ المتكلمُ المستمعَ أكثر مما ينطق به بالفعل، مركزًا على خلفية معطيات مشتركة ومتبادلة، لسانية وغير لسانية، ومستندًا كذلك على القدرة الاستدلالية للمستمع"[٢].

الخاتمة:

التمس الخطيب (الشيخ صالح بن حميد) لخطبة العيد الاستراتيجية التوجيهية، التي تتواءم مع طبيعة الخطاب الديني الذي يدعو الناس للسلوك القيمي؛ إذ يجدد اللقاء لتذكيرهم بتعاليم الدين الحنيف، ومواجهة ما استجد من أحداث، وقد خلص البحث إلى النتائج الآتية:

- أهمية المدخل التداولي في قراءة الخطب الدينية؛ لأنه يمتلك الكفاءة اللازمة لتحليل القول في تفاعلاته المقامية.
- صبغ السياق الوبائي الخطبة بصبغة خاصة، جعلتها تنحو نحو تحفيز الهمم ومجابهة الخوف المتمكّن من النفوس.
- تخير الخطيب الأنسب من الأساليب التوجيهية، منتقلاً من القوة الإنجازية الحرفية إلى القوة الإنجازية المستلزمة؛ مما يدعم التوجيهات، ويكون سبيلها

(١) العقل واللغة والمجتمع: الفلسفة في العالم الواقعي، ٢١٣.

(٢) المقاربة التداولية للأدب، ٥٢.

الإذعان للفعل المنجز، وجاءت الخطبة أمشـــاجًا من الأفعال التوجيهية الصريحة، إلا أن الأمر والنداء تصدرا في الخطبة.

- اتكأ الخطيب على الأفعال الكلامية الصـــريحة في الأمور التي لا ينفع فيها الإلماع؛ لبلوغ مقصده من ذلك، والأفعال الإنجازية في الأمر تضمنت غرضا إنجازيًا يتراوح بين النصـح والإرشـاد، أو الدعاء؛ لأن الوباء يقتضـي الاحتراز منه، ومن الآثار النفسية الناجمة عنه.
- يأرز الخطيب إلى الإضمار في الاستراتيجية التوجيهية، وما ذاك إلا خوفًا من نفور المستمعين، فلم يغفل الخطيب أنَّ النفوس مثقلة بما أصابها من الجائحة، فأتت خطبته ملائمة للســـياق؛ إذ الخطبة خطبة عيد، وهي توجيهات تفهم من تلابيب الكلام، بدلاً من الأمر المباشـــر؛ مما يلائم العيد، وفي هذه التوجيهات لون من التلطف واللين، وقد أتت هذه التوجيهات مصـــحوبة بالاســـتدلال تارة، وذكر العواقب الناجمة عنها تارة أخرى، فكانت أقوى وأبلغ في فعل التوجيه والتأثير.
- لم يألُ الخطيب جهدًا في التذكير بالاحترازات والتوجيهات الإرشـادية المضـمرة مكثفًا منها تحت لواء (الدروس)؛ لذا أضـــحت الخطبة وكأنها طب روحي، وتوجيهات علاجية للتغلب على الوباء، فالعالم توجس خيفة من مآل هذا الداء، وقد غشيهم من الضيق ما غشيهم.
- تلطَّف الخطيب في جعل خطبته من باب المسلمات؛ فأضحت لونًا من التذكير أكثر منها توجيهات آمرة.

ثبت المصادر والمراجع

- إحكام صنعة الكلام لذي الوزارتين، الكلاعي (من أعلام القرن السادس)، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الثقافة، بيروت، (د.ط)، ١٩٦٦م.
- استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، د. عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمّان، ط٢، ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م.
- آفاق جديدة في البحث اللغوي، د. محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د.ط)، ٢٠٠٢م.
- آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، أحمد المتوكل، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة بحوث ودراسات (٥)، دار الهلال العربية، ط١، ١٩٩٣م.
- الإنسان والدعاء، محمد محمود أحمد وموسى الخطيب، مركز الكتاب، القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.
- الإنشاء في العربيَّة بين التَّركيب والدَّلالة: دراسة نحوية تداولية، د. خالد ميلاد، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.
- الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني (ت ٧٣٩هـ)، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، المكتبة الأزهرية للتراث، ط٣، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.
- بلاغة الإقناع في المناظرة، د. عبد اللطيف عادل، منشورات ضفاف، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ١٤٣٤هـ.
- بلاغة الدعاء بحث في المبادئ والسمات والوظائف، عبد الفضيل أحمد ادراوي، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٨م.
- البيان والتبيين، الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.

- تاج العروس من جواهر القاموس، الزَّبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، تحقيق: جماعة من المختصين، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، ١٩٦٥م.
- التأويل بين السيمائيات والتفكيكية، أومبرتو إيكو (ت ٢٠١٦م)، ترجمة وتقديم: سعيد بنكراد، المركز الثقافي، الدار البيضاء، ط٢، ٢٠٠٤م.
- التداوليات: علم استعمال اللغة، تنسيق وتقديم: حافظ إسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث، إربد، ط٢، ٢٠١٤م.
- التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن روبول/ جاك موشلار، ترجمة: د. سيف الدين دغفوس، ود. محمد محمد الشيباني، مراجعة: د. لطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.
- التداولية عند العلماء العرب: دراسة تداولية لظاهر (الأفعال الكلامية) في التراث اللساني العربي، د. مسعود صحراوي، دار الطليعة، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.
- التداولية من أوستن إلى غوفمان، فيليب بلانشيه، ترجمة: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط١، ٢٠٠٧م.
- التداولية: دراسة في شروط استعمال الكلام، فرانسواز آرمنغو، ترجمة: د. منذر عياشي، أمل الجديدة، سورية، ط١، ٢٠٢٠م.
- تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م.
- التوجيه غير المباشر وأثره في التربية وتغيير السلوك، صالح بن عبد الله بن حميد، دار المسلم للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٣م.

- الحجاج مفهومه ومجالاته: دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم: د. حافظ إسماعيل صبري، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ٢٠١٠م.
- حفريات المعرفة، ميشال فوكو (ت ١٩٨٤م)، ترجمة: سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م.
- الخصائص، ابن جني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، المكتبة العلمية، (د.ت).
- زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط٢٧، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.
- سلطة الخطاب الشعري عند بني هذيل في الجاهلية والإسلام والعصر الأموي: دراسة تداولية، حاتم أوس الأنصاري، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمّان، ط١، ٢٠١٩م، ١٤٤٠هـ.
- شرح المفصل للزمخشري، المعروف: ابن يعيش وبابن الصانع (ت ٦٤٣هـ)، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
- العبارة والمعنى: دراسات في نظرية الأعمال اللغوية، جون ر. سورل، ترجمة: شكري السعدي، مراجعة: شكري المبخوت، معهد تونس للترجمة، تونس، ط١، ٢٠٢١م
- العقل واللغة والمجتمع: الفلسفة في العالم الواقعي، جون سيرل، ترجمة: سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف، الجزائر، المركز الثقافي العربي، المغرب، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠١م.
- علم التخاطب الإسلامي: دراسة لسانية لمناهج علماء الأصول في فهم النص، د. محمد محمد يونس علي، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٦م.

- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق (ت ٤٦٣هـ)، د. النبوي عبد الواحد شعلان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.
- فن الخطابة، د. أحمد الحوفي، نهضة مصر، (د.ط)، ١٩٣٨م.
- القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلر– آن ريبول، ترجمة مجموعة من الأساتذة والباحثين من الجامعات التونسية، بإشراف: عز الدين المجدوب، مراجعة: خالد ميلاد، منشورات دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، ٢٠١٠م.
- كتاب الصناعتين، العسكري (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩هـ.
- الكتاب، سيبويه (ت ١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧ هـ.
- لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، حمو الحاج ذهبية، الأمل للطباعة والنشر، المدينة الجديدة، تيزي وزو، ط٢، ٢٠١٢م.
- لسانيات الخطاب: مباحث في التأسيس والإجراء، أ.د. نعمان بو قرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١٢م.
- اللسانيات العامة: اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، د. نعمان بو قرة، عالم الكتب، الأردن، ط١، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.
- مجمع الأمثال، الميداني (ت ٥١٨هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، لبنان، (د.ت).

- مدخل إلى علم اللغة النصي، فولفجانج هاينه من، وديتر فيهفيجر، ترجمة: د. فالح بن شبيب العجمي، سلسلة اللغويات الجرمانية، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤١٩هـ.
- معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.
- معجم المصطلحات البلاغية وتطوّرها، د. أحمد مطلوب (ت ٢٠١٨م)، الدار العربية للموسوعات، ط١، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.
- معجم تحليل الخطاب، بإشراف: باتريك شارودو ودومينيك منغنو، ترجمة: عبد القادر المهيري، حمَّادي صمّود، مراجعة: صلاح الدين الشريف، منشورات دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، (د.ط)، ٢٠٠٨م.
- مفتاح العلوم، السكاكي (ت ٦٢٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ.
- المقاربة التداولية للأدب، إلفي بولان، ترجمة: محمد تنفو، ليلى أحمياني، مراجعة وتقديم: سعيد جبار، ط١، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٨م.
- المقاربة التداولية، فرانسواز أرمينكو، ترجمة: د. سعيد علوش، الإنماء القومي، الرباط، ط١، ١٩٨٦م.
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، القرطاجني (ت ٦٨٤هـ)، تحقيق، محمد الحبيب ابن الخوجة، ط٣، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٦م.
- الموافقات، الشاطبي (ت ٧٩٠ هـ)، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.
- مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، ابن يعقوب المغربي (ت ١١٢٨هـ)، د. خليل إبراهيم خليل، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

- النص والخطاب والاتصال، أ.د. محمد العبد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، (د.ط)، ٢٠١٤م.
- نظرية أفعال الكلام العامة: كيف ننجز الأشياء بالكلام، أوستين (ت١٩٦٠م)، ترجمة: عبد القادر قينيني، إفريقيا الشرق، ١٩٩١م.
- نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، طالب سيد الطبطبائي، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٩٤م.
- الوصايا الأدبية إلى القرن الرابع هجريا: مقاربة أسلوبية حجاجيّة، عبد الله البهلول، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، دار محمد علي للنشر، تونس، ط١، ٢٠١١م.
- الوظائف التداولية في اللغة العربية: المقاربة والمعيار، د. أحمد المتوكل، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط١، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.
- الوظائف التداولية واستراتيجيات التواصل اللغوي في نظرية النحو الوظيفي، يوسف تغزاوي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزي، إربد، ط١، ٢٠١٤م.

المجلات العربية:

- مجلة الدراسات اللغوية، مج١، ع١، الرياض، (محرم- ربيع الأول ١٤٢٠هـ/ أبريل- يونيو ١٩٩٩م).
- المجلة العربية للدراســـات الأمنية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، مج٣٦، ع ٢، يوليو، ٢٠٢٠م.
- مجلة اللغة والأدب، ع١٧، الجزائر، ٢٠٠٦م.
- مجلة أم القرى للبحوث العلمية المحكمة، سنة ١١، ع ١٧، ١٩٩٨م.

المواقع الإلكترونية:

- حقيقة جائحة كورونا لمعالي الشيخ صالح بن حميد من خطبة عيد الفطر ١٤٤١هـ YouTube –،زيارة الموقع في ١٤٤١هـ، الساعة الخامسة مساءً.
- الكتابة اللسانية العربية وإشكاليات المصطلح التداولي، د. نعمان بوقرة، مجلة علوم إنسانية، على الرابط: اللسانيات اللغة التواصل والتفاعل والمجتمع ,Linguistics language communication, interact: الكتابة اللسانية العربية وإشكاليات المصطلح التداولي (brahmiblogspotcom.blogspot.com)، زيارة الموقع في ١٤٤٣هـ، الساعة: التاسعة مساءً.
- موقع الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد، سيرة الشيخ | موقع الشيخ صالح بن حميد (af.org.sa)، زيارة الموقع في ١٤٤٤هـ، الساعة ٢٠: ٦ صباحًا.

The Guiding Strategy in the Sermon of Eid al-Fitr in the Great Mosque of Mecca for the Year 1441 AH

Dr. Kaloud Abdullteef saleh al-Johar

Associate Professor of Rhetoric and Criticism
Department of Arabic Language
College of Art - King Faisal University

Abstract:

Human communication is a requirement of life, and it manifests in a variety of forms according to means and purposes, including religious sermons among Muslims, which are a means of guidance and reminder. Religious sermons include the Eid sermon, when mosques are crowded with Muslims, and such sermon always express joy of Eid as well as recalling the teachings of the true religion. However, shortly after the middle of 1441 AH, the unexpected happened, as the pandemic came and prevented people from meetings, and consequently religious, medical, psychological, social and economic precautions were spread in various parts of the world.

When Eid al-Fitr arrived, the pandemic was still in control, so the sermon delivered that Eid was exceptional; the number of worshipers in all mosques, the two Holy Mosques included, was limited. In the great Mosque of Mecca, Sheikh Dr. Salih Ibn Hamid adapted the Eid sermon to the new current situation precautions. Therefore, I decided to study this speech to analyze aspects of its rhetorical structure for the purpose to highlight the nature of the discourse in the time of the pandemic.

The study consists of an introduction and three sections. The first section deals with of the context of the Eid sermon, and the

second section is devoted to the explicit directives, while the third section exhibits the implicit directives. The conclusion includes a series of results; most important is that the preacher implemented the strategy of constructing his sermon on guiding, namely explicit directive acts. Exceptionally, the imperative and the vocative cases appear on the onset of the sermon. Equally important is the preacher's focus on implicit directions accompanied by cautions at times and reference to possible repercussions other instances. Hence, the sermon appeased the feelings of fear and boredom that leaked to the people's hearts due to the rampant epidemic.

Keywords: strategy, directive, performative acts, explicit directives, implied directives.